قصة قصيرة

للكاتب الفرنسي : فرانسوا كوبيه

ترجمة : عليه رياض

مذكرات سجين :

غدا صباحا ، ستتم الشهور الستة التي حكم على بها لاختلاسي الألفي فرنك من خزينة صاحب المحل الذي اعمل به.

غدا صباحا سأكون قد كفرت عن غلطتي .

في الثامنة سيدخل الحارس الى زنزانتي ، سيحضر لي ملابسي لأخلع بدلة السجن الكئيبة ... سأظهر أنيقا ... كأي شاب في سني ولن يكون على الا ان أنزل الى المكتب حيث ينزعون الحديد من يدي ثم ... ثم الحق بحريتي ...

لقد وعدتني أن تنتظرني في عربة على مدخل السجن ... سأكون حرا ...!!

سأكون حرا ... أية سعادة تنتظرني ... مع من أحب ... مع حريتي...

لقد كانت سيما في دخولي السجن ... لقد اختلست لأرضيها ولكنها صارحتني في خطابها أمس أنها مازالت تحبني ... وأنا سأعود كما كنا معا من قبل ...

وفي باريس ... تلك المدينة الكبيرة يمكن لأي انسان أن يخفي ماضيه بسهولة ويسر ... ثم ان شابا مثلي نشيطا ... وسيما وله موهبة كبيرة في التجارة سينجح بلا شك في أن يكسب عيشه .

انى مستعد ان اعمل ليل نهـــار ... لاكسب عيشى ولاقوم بمطالب مرجريت!

ولكن ... ساترك التفكير فى تلك الشئون الجادة لما بعد فلافكر فى غدى ... غدى فقط ... انا واثـــق انه سيكون سعيدا ... عندما أتخطى باب السجن ... سـأمرح فى العربة الواقفة هناك وجه مرجريت الحلو ... منتقما من التاثر تحت ظلالتها الرقيقة .

سألقى بالعنوان للسـائق واضعا فى يده قطعـــة نقـــود حتى يسرع بى فى العـــودة ... سأقفز داخل العربة التى ستجرى باقصى سرعة ... وسترتمى العتاه المسكينة وهى تبكى على صدرى .. يالها من قبلات بهمة مستاقة ...!!

وسندخل حجرتنا ، حجرتنـــا التى توجد فى آخر شارع « مدام » حجرتنا التى تطل على حدائق اللوكسمبورج ... وفى تلك الايام الجميـــلة ... آخر سبتمبر ... الايام الهادئة الايام البقية والاشجار بديعة باوراقها وهى على وشك ان تسقط عنهـــا وتتهاوى مع فصل الخريف .

وساساعدها فى تنسيق المائدة أمام النافذة المفتوحة وشعاع الشمس اللطيف يداعب المفرش الابيض النظيف ويتعكس على الأوانى والأطباق متنقلا لامعة .

وسنتناول فطورنا فى مرح ونطراتنا تتلاقى ولا تملك أن تحيد عن بعضها ... والسكون العميق يحيط بنـا من فوق الرقة والتاثر والحب او ربما تحادثنا واتفقنا على مائة مشروع يجب أن نعقدها ... معا ....

وبعد ما تسكب القهـوة فى فنجانى سنحضر مرجريت وتجلس بجانبى ... كما كانت تفعـــل من قبل وقد ضمت يدها على كتفى واسندت فوقه ذقنهـــا اللطيف ... وهى تنظر الى عن قرب . وساشم رائحتهـــا الرقيقة ... رائحة الشقراء . وسيداعب شـــعرها شعثى وساشير للسرير باصبعى ... وسأتلقى الرد بالموافقة بتلك الغمزة اللذيذة من عينها ... واذا ... سريعا ... سأغلق النوافذ . واسدل الســـتائر بينما هى ... تشعل الشموع ...

وهى يعلم ... ربمـــا انصير قليبى سعادة ... وربما مت من الفرحة عندما أرى رقتها .. وكتفيها ... وصدرها وهو يـــظهر من تحت « الكورسيه » السانان الاسود بينما تلمع ابتسامتها المثيرة وترتد الى على صفحة مرآة الدولاب المواجهة لى ..

نعم ... هذا الذى يمكن أن يحدث لى غدا ... بعد هذه الشهور السبعة من الوحدة القاتلة ... هـذا الذى يمكنى الحصـــول عليه غدا ... غدا اذا أردت الحرية والسعادة والحب .

ولكن هذا لن يحدث ... فسأنتحر بعد قليل بعد أن انتهى من كتابة هذه الورقات حيث أحاول أن أشرح لنفسى

موقفي وسببا للضرورة الحتمية لموتي .

تبعا لهذا الحـــارس ... لقد صممت بالرغم من صرامة قوانين السجن على أن يسمح لي هذه « الوناسة » الصغيرة لأكتب على دورها الطويل هذه السطور .

انه سيندهش غدا ... عندما يحضر ليطلق سراحي ويجدني مشنوقا على احد هذه الأعمدة الطلية ... اليارده سيجد وجهي اسود ولساني متدليا ... حتما سيندهش ... أليس كذلك ... فهكذا ستمضي الامور ... اذا ... فقد قررت ... سأشـــنق نفسي عنـــد منتصف الليل ...

اذا فلأفكر ... فلأحلل بوضوح تلك المشاعر التي تنتابني وتثيرني ...

يجب ان أعترف أولا انه ليس هناك أي شـــعور بتأنيب الضمير على هـــذا الذنب الشنيع الذي اقترفته ...

فانا قد خنت الامانة وسرقت رجلا عادلا وثق بي ، وكان حسن النية نحوي ... كان يقدر عملي ويشرفني بمديحه ... وكان يفكر دائما في مستقبلي حتى انه عرض علي يوما أن اكون شريكا له في أعماله التجارية

ولكن فلأتخلص من هـــذه المشـــاعر الصغيرة ... دلني اظهر اي شـــعور بالنـــدم ... فلو عاد بي الزمن للوراء لفعلت ما سبق أن فعلته دون ادني تفكير ... نعم فلو شعرت مرة أخرى بذراع مرجريت ترتعش فوق ذراعي أمام واجهة محل المجوهرات ، ولو رأيت ثانية

عينيهـــا عارقتين في الرغبة وهي تتأمل هذه الاسورة المرصعة بالماس ... اذا لسرقت مرة أخرى ... لسرقت الألفي فرنك من جديد ولقدمت لها الحلية .

ماذا ؟ هل أنا غبي ؟ ... أو غير مدرك للامور ؟ ... لا أدري ... ولكني سأكرر ما فعلته ..

هـــذه المرأة ... كم احببتها ... احببتها هـــذا رأيتها لأول مرة ... يوم تلاقت نظراتنا ... !!! ماذا ادكر ... لقد دعاني اثنان من أصدقائي للذهاب معهمـــا الى الحفـــل الراقص الكبير في موبـــارتر ... فرقصت أولا ... كنت منهمكا ... وكنت أريد النـــوم مبكرا ولكنهما الحا فتبعتهما .

وعرفت الاوركسترا رقصـــة البولكا ... وأخذ الراقصون يدورون بحمـــاء تحت الاشـــجار الهزيلة وقـــد أضيئت غصونها بمصابيح عارية صغيرة .

وحضرت امراتان لمقابلتنا ... كانت احداهما طويلة سمراء وعلى وجهها الكثير من الطلاء وتمثل بوضوح خادمة الليل في مطعم أو حان .

كانت تعرف أحد أصـــدقائي ... وطلبت منا بوقاحة ان نطلب لها مشروبا وجلسنا حول مائدة وتعمدت أن اجلس بجانب المرأة الاخرى ... الشقراء ... وقد أسرتني رقتها ورشاقة ملامحها ... وهيئتها المتحفظة بل قد أقـــول كانت خجولا . وكان من الواضح أنهـــا كانت حديثة عهـــد بتلك المهنة ولم تصاحب

الرجال في الحفلات العامة الا منذ أمد قصير ... لم تكن تتحلى بأى مجوهرات ... ولا ترتدى الا ثوبا رخيصا أسود كالحا قديمـــا ثوب فتاة شريفة ولكن قيمتها الجوح الصارخة ذات الزينة ، كانت تغرى كل من يراها على ان يقول لها ... ، أتقبلين العشاء معى الليلة ، هـــذه القبعة فقط كانت كالملاءة فوق رأسها !! تدل عليها .

ودار بيننا الحديث وكان صوتهـــا حلوا ... رقيقا مثل عينيها ... وجهها وجه لها احد رملائي كلمة اعجاب خطة خريئة ولم ترد عليه الا بابتسامة محرجة ... بهـــا أدب واستسلام وشـــعور بالاشمئزاز .

كانت ساحرة وفي نفس الوقت توحي بالعطف ولكنها جعلتني افكر ، ولم أكن شاعرا في يسوم ما ... في لمة بهجة المساء في جدول رقراق .

وفي نهاية الحفل ... عندما صعدنا معا الى العربة قبلتها قبلتنا الاولى ... وكان يعمرنا شعور لطيف بالمحبة ... وقضينا الليلة معا .

يا الهى يخيل لى انى ما زلت اشعر بحرارة دموعها عندما بكت على كتفى وهى تحكى عن طفولتهـــا المشردة على ارصفة باريس وصباها البائس ثم سقوطهـــا المؤلم الذى لم تستطع تفاديه .

وكانت ليلة ... !! كانت ليلة نعمت بهـــا ... والمرت فى ... لدرجـــة انى

انتزعت مرجريت بعد أيام قليلة من بؤسها المخزى واصبحت تعيش معى .

وكان حسنا ... لم يكن لى من ايراد سوى مرتبى كصراف فى متجر « بنان حيرمان » .

ولكن مع ذلك لو أن مرجريت معها قليل من المال المدخر أو لو أن لها موهبة ربة البيت القديرة فى التدبير لأمكننا المرور بالازمة ... ولكن لم تكن كذلك .

كانت بطبيعتها رقيقة ، قلبها بارد حال ... سقطت فى الفساد بسبب ضعفها لا برغبتها .. لم تكن سوى صورة حية للمشردة باريسية . كسول ومحبوبة وسكرى بالملابس تبقى فى الفراش الى الظهر دافئة وجهها تقرأ قصة غرامية وقد تتغذى بالسلطة لمدة اسبوع حتى تشترى لنفسها روجا من الجوارب الحريرية ... واصبح مرتبى فى حال كبيرة من العوهى والاهمال . وفى المساء عندما اعود من المحل كنت اجد مرجريت لا تزال برداء نومها كما تركتها فى الصباح تقرأ او تصفف شعرها ولم تفكر حتى فى العشاء وكنت اضطر أن أرسل البوابة لشراء بعض الطعام المحفوظ . وعندما كنت أحاول ان أوجه بعض النقد الى عشيقتى كانت تقول لى بدون ان تغضب « أنا أعرف جيدا انى لست المرأة الملائمة لك ماذا تريدنى أن افعل ؟ اهجرنى ... ولن يكون لى الحق فى ان أشكو أو اعارض . ولن اللومك .

ولم أكن اعترف بم أحبب !! كنت متألما ساخطا ... عندما أجد انها لا تنتبه لى ولا يهمها هجرانى ... بينما أنا لايمكننى أن استغنى عنها ... ابدا ... !!

فكرت احيانا فى أن أهجرها عند بدء صلتنا ولكن فكرت أنها ستقول لى وداعا .

وانها ستعود فى نفس الليلة الى تلك الحفلة الكريهة التى قابلتها فيها لأول مرة والتى التقطتها منها ... وأن عابرا سيصحبها معه لقاء قطعة او قطعتين من النقود ... أوه !! . هذه الفكرة كانت تحير مخيلة ... كانت تقتلنى ... أهجرها ؟ .. ولكن كان يكفى ان افكر انه عند استيقاظى فى الصباح لن أشم دفء جسمها بقربى ... كنت كأننى أتوه أو اغيب عن وعيى .

وبعد عدة اسابيع زادت حاجتى لتلك المرأة وكبرت حتى أصبحت فى قوة العاطفة المتأججة وضعف العادة التى لايمكن التحلل عنها او التخلص منها !! كنت احبها ... احبها ؟ ماذا ؟ .. لقد كانت تمتلكنى .

عندما تعرفت بمرجريت كانت تسكن حجرة كئيبة فى فندق حقير ولم تكن تملك الا القليل من الملابس . هذا الفستان الاسود الحقير ثم تلك القبعة التى تضعها وتدل عليها فى الحفلات .

ولكى أشترى لها ملابس جديدة

واوفر لها جهـــارا صغيرا صحيت بكل ما ادخرته ، لا بل واستدنت ايضا .

ثم اهمالهـا ... وقلة عنايتها بكل شيء .. ثم المصروفات الجـــديدة التي كنت ابددها حتى اسليها . اصحبها الى المسرح والى القهرة لسماع الموسيقى اذ كنت اخشى ان تهجرني عنـــدما تمل عيشتها معي . كل ذلك اسرع بخرابي وافلاسي . ناخرت في دفـــع التزاماتي وكان على مبالغ متفاوتة لجميع زملائي .

ولكن لم اكن ابوح لمرجريت بمتاعبي المادية . ماذا كان سيفيدني ؟ . كنت اخاف ان تقـــول لي بصوتهـــا الهادىء المستكين : ماذا تريدني ان افعل ... فلنفترق .. ؟

كنت أجتهـــد الا افـــكر في الكارثة الاكيدة المقبلة متظاهرا بعدم الانشغال امام عشيقتي وعندما تتجمع عندي بعض النقـــود تقضي وقتا ممتعا في نزهة او تسلية ما ولكن ... بداخـــل نفسي وقلبي .. كنت ملتاعا من المستقبل .

وكثير من الرجال ـ في موقف محرج مثل موقفي ـ يلجأون الى القمار علهم يحصلون على ما هم في حاجة اليه ...

وسمعت زملائي في العمل يتحادثون عن الســـباق ومكاسبهم وخســـارتهم ـ وسمعت رئيس قسم الحرائر بالمحـــل يذكر اسم حصانين مضمونين اعطـــاهما له أحد (الجوكية) بالحلبة ـ وان احد هذين الحصانين ، ذرة الملح ، محصـــول وسيدفع عشرة اضعاف الرهان عليه وان هنـــاك مؤامرة بين الجـــوكية ورجال السباق لجعل (ذرة الملح) يكسب ... وكان الكلام بثقة كبـــيرة جعلتني افكر جديا في ان افعل شيئا .

يا الهي ... لـــو ان الورقـــة ذات الخمسمائة فرنك مازالت في درج مكتبي كما كانت قبل حضور مرجريت . اذا لكسبت خمسة آلاف فرنك .

اذا لكانت الطمأنينة والثقة وسداد الديون واليسر في الحياة ... ثم ... ثم الأهم ... امتـــلاك مرجريت لمدة شهور أخرى .

ولكن لم يكن بجيبي سوى قطعتين من النقـــود ... فطردت من خاطري تلك الفكرة وهررت كتفي .

وكنت قد وعدت مرجريت بالرغم من ضيق ذات يدي أن اصحبهـــا في ذلك اليوم الى مسرح الفول نوفيتي حيث يقدم بعض البهلوانات العابا مضحكة مرعبة .

وهنا سيرا على الأقدام وقد تشابك ذراعانا حتى تـــوفر أجرة العربة ... وأثناء مرورنا أمام واجهات المحال كانت مرجريت كأى امرأة أخرى تتوقف أمام الواجهات لا سيما محال المجوهرات . ثم تطرت باعجاب واشارت لى الى اسورة رقيقة محلاة بالماس .

ـ ترى كم تســـاوى تلك الحليـــة الصغيرة ؟

ـ اوه ... قطعـــا ليس أقـــل من خمسمائة فرنك .

فابتعدت عن الواجهة ببطء وهى تلقى نظرة طويلة بها أسف ومرارة .

ـ هيا بنا .. هذه الحلى ... انها ... حلوة للآخرين .

فى تلك اللحظة بالضبط ... تذكرت جيدا كيف يذكر الانسان المستقبل فى ومضة سريعة ... تذكرت الكلام الذى سمعته عن الحوكي وخدعة السبق والفوز الأكيد « لدرة الملح » .

وفى تلـــك اللحـــظة دفعنى الاغراء بالمكسب الاكيد على أن أحد من حرية المحـــل الذى فرنك فاشترى الأســـورة لمارجريت ثم ألعب بالبـــاقى على « درة الملـــح » وساجد وسيلة لاعطى السرقة بعد عدة أيام حتى استطيع ارجاع النقود فى السر . واذا ربحت فى الســـباق ستحل جميع مشـــاكل وتزول متاعبى نهائيا وستملأ حيوتى بالذهب وساعود لأتناول عشـــاء راقيا مع حبيبتى جالسا خلفها فى مقصورة بالمسرح ... اعيث من أن لآخر بشعتى فى تلك الخصلات المدلاة من شعرها فوق عنقها الجميل .

كنت أفكر فى تلك الاشـــياء معا فى لحظة واحدة قبل أن استدير مرجريت وتحول عينها عن الواجهة المشيرة لمحل المجوهرجى .

وجررتها وانا قابض بشدة على ذراعها واسرعت الخطى وقلبى يكاد ينفطر ثم نجاة ... اصابنى شعور عجيب ... أصبحت بدوار كان أحدا ضربنى بشدة على ام رأسى وقلت لنفسى « واذا لم أكسب .... ؟؟

والقيت بنظرة الى تلك التى تســـير بجانبى .

ـ حمدا لله ... لقد كانت ملتفتة الى الجهة الاخرى الى ناحية الحوانيت ... ولم ترنى ... وفى احدى الواجهات شاهدت مرعب وجه مجنون يشبهنى ... لكن ... بعد جهد كبير وقـــوة ارادة جبـــارة استطعت السيطرة على نفسى والظهور بمظهر الهادىء الرزين .

ـ ماذا ... اذا لـــم أكسب ؟ ... أذهب حينئذ لأجلس وظهرى منحن ... ورأسى ســـاقط على صدرى فوق مقعد المتهمين ، ثم ... ماذا ... سأحرب حياة السجن .

لا يوجد شيء بدون مجازفة وفى حالة اذا ما ركبنى النحس . سأكون قـــد برهنت لتلك المرأة على حبى . تلك المرأة التى سيطرت على عواطفى وحواسى . ولكنى لم أستطع ابدا أن أدفىء قلبها البـــارد كالثلج . سأكون قد اعطيت لمرجريت برهانا صادقا على حبى . وربما احبتنى اخيرا وربمـــا نالت بدورها لاجلى ... كانت داعرة ولكنها ستعرف انى سرقت لأجلها .

الساعات تمر ... ما فائدة أن أحكي عن العاطفة النفسية التي مررت بهـا والتي ضيعت كل آمالي ؟

ما فائدة أن أحكي عن السرقة التي اقترفتها ثم الخيبة العظيمة التي واجهتها في حلبة السـباق حين وجدت الناس يصرخون محبين « السبعة السباق » عندما سبق « درة الملح » برأس وضاعت معه كل آمالي .

واكتشـفت سرقتي وقبـض علي وحوكمت ... وحكـم علي بالحبس والقيت أخيرا في هـذا السجن حيث قاسيت أشد أنواع العذاب .. ثم لن أفارقه الا فاقد الحيـاة .. نعم أشد أنواع العذاب .

لم يكن تأنيب الضمير لا ولا الحرمان من الحرية ولا المعيشة وسط المجرمين وقطاع الطرق ... لا .

عذاب اشنع وأمر .. عذاب الغيرة .

لم أكن قد سبق لي أن تعذبت أبدا بذلك الشعور الفظيع ... فمرجريت أثناء الخمسة شهور التي عشناها معـا لم تفعل أبدا شيئا يثير في هذا الشعور البغيض .

كانت كسولا حتى أنهـا تقضي النهار كله في مسكني ... وكان عندي الدلائل على ذلك وهي المساء عندما كنا نخرج معا لم تحط اهتماما منها بأي شخص آخر غيري فلم تكن مرجريت أبدا معجبة بنفسها .

ولقـد حدث ما كنت أتوقعه ... وتألمت مرجريت جدا لمـا حدث لي ... ولموقفي كمذنب ... فقد رأت في ذلك برهانا ماديا لحبي لها . وذرفت دمعا سخينا وهي تتهم نفسها بأنهـا سببت ضياعي . وعندما سمح لها بزيارتي في السجن ادعت أنها اختي وعندما رأيتها رأيت وجها شاحبا من الحزن ... لقد احبتني اخيرا ... لقد تأكدت من ذلك .

انني أذكر جيدا لقـاءنا الاول في السجن . كنا نتبادل النظرات في سكون عبر الأسلاك الحائلة بيننا . وأخيرا قلت

ـ أتحبيني بعض الشيء يامرجريت ؟ هل انت صادقة في حبك لي ؟

ـ أكثر واحسن مما قبل . انك ترى بنفسك في أي حالة أصبحت بعد غيابك عني ... !!

ـ عجيبة لقد كنت باردة جدا معي قبل دخولي السجن .

ـ ان ما فعلته قد غيرني جدا ... هل كنت أصـدق أنك تحبيني الى هـذه الدرجة ... لقـد أثبت لي ذلك ... أطلب مني أي شيء لأنت انك حبي !!

ـ لايوجـد الا شيء واحد يثبت لي ذلك الحب .

ـ ماهو ؟ انني مستعدة لكل شيء ... لأي شيء .

ـ أن تبقي على حبي ووفائي وتظل مخلصة لي حتى أخرج من السجن .

ـ اني أعدك بذلك ... واقسم عليه .

ـ أحقا ؟ ... وكيف ستعيشين ؟

ـ سأعمل

ـ أنت ؟ ... يا عزيزتي المسـكينة تعملين ؟ ... هيه ... انني أعرفك جيدا ... انك لا تجيدين شيئا .

ـ لقد تعلمت لاعمل خياطة ... وستري .

وحضرت بعد ثمانية ايام... وعلمت قفازها لتبين لي كيف ان أصابعها قد نقبت من وخزات الابر ... ثم قالت لي انها تعهدت بتوريد كلف لأحد محلات الموضة . انها تكسب حاليا فرنكا في اليوم ولكنها بعد قليل ستصبح ماهرة وستكسب ثلاثة فرنكات يوميا وربما أربعة .

ـ سيمكنني أن أعيش بذلك ... (واستدركت باسمه) لن اعيش عيشة رغيدة ولكني حاليا لا افكر الا في شيء واحد .. أن ارضي واسعد حبيبي .

حبيبي ... هذا الاسم ... حبيبي الذي كانت تقوله لي من قبل بدون أي اكتراث كما تنطق بأي لفظ آخر اعتادت ان تقوله لكل عشاقها ... نطقته في هذا اليوم بنغم مؤثر رقيق شعرت أنه صادر من قلبها .. شعرت أنها تحبني فعلا . أنا ... أنا دون أي شخص آخر . وقفزت الدموع من عيني .

لا يهمني اذا أن أكون سجينا . لا تهمني نظرات الاحتقار والاستهزاء التي تحيط بي ... ثم ذلك الحساء الردىء الذي أتناوله وسط الاقاقين . ولا الليالي الطويلة المسهدة التي اقضيها في ظلام الزنزانة !!

مارجريت حبيبي ... أصبحت تكسب عيشها لتبقى شريفة وفية لي في انتظاري هل هذا ممكن ؟ أنا الرجل البائس ... لقد اقترفت سرقة من أجل امرأة . وستهدأ سكينتي بعد ذلك . ساكفر عن غلطتي . وسأعود الى ذراعي نفس المرأة ولكني سأكون شخصا آخر وقد صقلته التجربة وذريه الحب والعمل وستكون هي نفسها أول من يهديني لطريق الصواب اذا ما راودتني نفسي اليه .

آه ... كم كنت مملوءا بالأمل والشجاعة مستعدا لأن امضي مدة العقاب التي استحقها دون شكوى ودون ألم وفي أشد لحظات سجني ضيقا ... كنت افكر في مرجريت وكان الامل يعزيني ويدفئني وكأنه قوة سحرية تدفيء قلبي ... ورملائي في السجن الكريهون كانوا يسألونني لم أنا دائما سعيدا ؟ وما الذي يجعلني أبتسم ؟ .

حالتي النفسية المتفائلة ... أما المذنب الذي يرتدي ملابس السجن المشينة والذي يقهره الحراس كما يشاءون كلما .

أنا ... انهم لا يعرفون ... لقد عشت لحظات بديعة ... هذه الموجة من السعادة التي تغمرني والرضا نفسه قسم لي والامل في المستقبل ينير أمامي الطريق .

تلك الحالة دامت شهرين وفي ذلك الوقت كانت مرجريت تحضر لزيارتي بانتظام ساعة كل اسبوع ... وفي كل من تلك الزيارات كنت أتأمل بأسى وشفقة عينيها المحاطتين بهالة سوداء من السهر . ووحشتها الذابلتين من الحاجة والبؤس وأصابعها المخشنة وراءها الذي اصبح كالحا باليا .

ولكن ... أتى يوم بدأ فيه عذابي وحيرتي وألمي وسهدي ... حضرت بثوب جديد وبدأت نفسي وعذبني شكي فيها

واتهامي لهـــا بالخيانة ولكنها واجهت نظرتي وقالت وهي تبتسم :

ـ آه انك تنظر لثوبي ... لقد اعطته لي كلوتيلد ... اتعرف كلوتيلد انهـا تلك الفتاة التي كانت تصحبني يوم أن تقابلنا لأول مرة ان لها الآن عشيقا غنيا يغرقها بالهدايا والملابس ... لقد أهدت الى هـــذا الفستان عندما رأتني البس القديم البـــالي ... ولم يكن على الا أن أصلحه قليلا ... انه كالجديد لم تلمسه الا خمس أو ست مرات ... ألا يبدو جميلا على بعد أن اصلحته ؟

ولم يكن هذا صحيحا ... فمارجريت لم تكن تعرف تلك الكلوتيلد كصديقة. كانتا تتقابلان في الحفلات العامة فحسب ثم انه من غير المعقول أن يكون لكوتيلد عشيق غني يصنع لهـــا المعجزات فهي ليست شابة وليست جميلة وسيكتفي بعض السكارى بقضاء الليلة معها ... أما أن يكون لها معجب وترى ... لا ... انا واثق انها تكذب علي .

وبالرغم من محاولة مرجريت مواجهة عيني كانت نظرتها مرتبكة وأهدابهـــا تتقـــارب بسرعة وتظهر الكذب في عينيها .

وكنت على وشك أن أواجهها بكذبها. واعاتبها معجزا عاصفا . ولكني صمت ... صمت الا تصـــرد لي ثانيـــة ... وسكت ... واستمرت تكلمني بحرارة قائلة انهـــا تكسب الآن ثلاثة فرنكات واحيانا أربعة في اليوم .

وقالت ان أمامها اعمالا كثيرة لايمكنها انجازها جميعا وانها تفكر في استئجار مساعدة لهـــا وكانت تســـاق في اكاذيبها ... وكنت واثقا من كذبها !!

وبالرغم من اني كنت أشعر بعاصفة من الغضب والالم تثور في صدري ... كانت نفسي تتظاهر بالهدوء حتى النهاية ... ولم أرد الا بكلمات مقتضبة لامعنى لها على كل هذا الكلام .

وبسيت سكوتي الى المنى من السجون وخرجت وهي ـ سعيدة لانها قد غررت بي وخدعتني ... اذا مرجريت تخونني ... وانا اكفر عن ذنبي كسارق بسببها .

لقد انخدعت عشيقا ... ربما تبيع جسدها بالليل كما كانت تفعل من قبل او ربما مقابل بعض الملابس لقد رأيت فستانا جديدا لها ... وفي المرة القادمة اراهن على قطع ذراعي الأيمن اذا لم تأت لي بروج جديد من المحلات وبضعة جميلة وكل تلك الاكاذيب التي قصتها على لم تكن الا مقدمة لما ستلمسه امامي في المرات القادمة ولم تفكر في ان تتظاهر أمامي بالشرف بأن تلبس ملابسها القديمة او انه ربما عز عليها أن تظهر في الشارع بثوب بال ... لقد فضلت ان تقص على أكاذيبها السخيفة .

او ربما هزت كتفيهـــا قائلة هو وشأنه ان لم يصدقني .

اوه تلك العـــاهرة الماكرة ... الهذا سرقت ؟ ... الهذا وضعت اســـمي بالعار ؟ ولكن كم انا غبي ... انهـــا أهل لهذه الخيـــانة فهي لاتحبني ... فلماذا تحضر لتراني ... احسانا علي أو تظاهرا بالرثاء كما كانت تذهب الى الممرضة المريضة حاملة لها البرتقـــال بالمستشفى

بالعار .. كانت تشـــق على اذن .

وقضيت ثمانية أيام مرعـــــة ...

وتدور في رأسي تلك الافكار ثم تملكني الخوف ... ثم ... ماذا اذا لم تحضر في الزيارة القادمة ؟ وقد قذف بي ذلك الخاطر في دوامة هائلة من القلق والخوف واليأس والعذاب ... كما ظهر لي مقدار حبي لها ... وحرصي عليها ورعبتي فيها وهول فجيعتي اذا مرت الايام ولم ارها فماهدت نفسي على السكوت ومداراة طلوبي ... وحمل وعاري لاني احبها ، أريد أن أبقى عليها ولا افقدها ... بالله كم احبها ... وحضرت ...

اوه لقد راهنت ... لقد حضرت بقيمة جميلة للربيع وهي في اكمل زينتها ، وكان وجهها صبوحا مشرقا وبشرتها أكثر نضارة وشبابا .

حينما تلك المرأة لاتعيش في عذاب الحاجة ولا تعمل ليل نهار في الخياطة ووصلت بها الجرأة الى أن تقول لي انها سعيدة وانها قد استأجرت عاملتين ... ومائدة اكلوة جديدة وتظاهرت بالفرح لها ... ومجاراتها ... وظلت منها أن تخلع القفاز تضع يديها على السور الحديدي أمامي حتى يمكن لي لمسها بشفتي ولاحظت عدم وجود آثار الابرة في أطراف اصابعها .

الساعة تدق الحادية عشرة والنصف في ساعة السحر .

وطرف الشمعة يكاد يخبو ... فلنسرع ...

ولو اتسع لي المقام لوصفت لكم مافاسيته من حيرة ويؤس وعذاب ولكني سألخصه في كلمتين ... ذخيرة وحسل سجين .

وسيطول بي الأمر لو وصفت لك القائمة من العذاب الذي سببته لي مارجريت في كل زيارة جديدة ولكن تلك الزيارة يجب ان احكي لكم عنها .

كنت في انتظارها في ذلك اليوم كنت احاول ان أقنع نفسي باني ربما تحسنت عليها ... ليس بعيدا أن تصل امرأة الى ان تكسب عيشها بشرف وورعة حتى تشتري بعض الملابس والكماليات ...

ومر في ذهني خاطر طماس ... فلربما تحرص على الظهور امامي بملابسها الجديدة لتعلمني انها كسبتها عن طريق شريف والا لاستطاعت ان تخفيها عني

ولم تكن مرجريت تهوى التزين بالحلي والحلية الوحيدة التي حرصت عليهما وتحلت بها كانت الاسورة التي اشتريتها لها بالنقود المسروقة .

وبدأت اشعر انني كنت متحيزا عليها و ... واقنع نفسي ببراءتها وحبها لي ... ولا أفكر الا في ما يبرىء مارجريت من تهمة خيانتي .

وحضرت في الزيارة في الميعاد المحدد كما تعودت دائما وعندما رأيتها عن بعد شعرت بالهامانى لها تتحير ولكن عندما اصبحت قريبة مني هالني شيء ... اثر ثقب وجرح لم يبرأ بعد في اذنيها . بالله ... لقد حصلت على جواهر اذا ... أو ربما رفعته من أذنيها قبل دخولهما لي حتى لاتؤلمني ... لقد اصبحت تريد وضع حلي رقيقة في أذنيها .

في ذلك اليوم فقط لم يبق لدي ادنى شك في خيانة مرجريت ... وبدأت افكر في الانتحار ، وكان يجب ان أعترف

انني مازلت أحب تلك المرأة وفي الليل احلم بها بجانبي ٠

وتملكني الضعف حتى صور لي ان احتفظ بها بالرغم من كل شيء ٠

وكنت أسحر أحيانا من غيرتي ولكن شعوري بالعار كان اقوى مني وفكرة خيانتها لي ٠٠ فكرة بيع جسمها لآخر لا بل ربما لرجال آخرين بينما انا في السجن بسببها ٠٠ تثيرني وتقتلني ٠

وكما ذكرت في بدء رسالتي كان يمكنني ان أخرج معها غدا وانتمتع بقربها وجمالها واقضي ليلة حبيبا سعيدا ٠٠ ولكن ربما لمحت في رماد المدفأة طرف سيجار «السيد» الذي كان معها بالامس وقد أمسك بسكين وأغرزه في صدرها لقد صرت سارقا ٠ ولا أريد أن أصبح قاتلا ٠٠ من الافضل لي أن أموت ٠ ٠ أموت وانا أعرف أنها أحبتني في وقتها ولكنها لم تكن لديها القوة لتعقيد قسمها لي ٠٠ وداعا يامرجريت انك لست سيئة بطبعك ٠

وربما وانت تقرأين هذه الكلمات ستبكين لبضعة أطل ذلك ٠٠ ولكن كل شيء ينسى سريعا في هذه الحياة ٠

وبعد مدة ٠٠ عندما سيطلب منك احد عشاقك أن تسليه بقصة حبيباتك ستكونين فخورة كامثالك ٠ وستغرين بقدميك العاريتين ، من السرير لتدخني وتحضري ، هذه الاوراق من الدرج ٠ ستكونين محتفظة بها حينما تلعب مع أوراق اللعب وتكشف بأسماء معارفك٠٠ ثم تعودين لترقدي بجواره وتقرأي له اعترافاتي ٠٠ لزائر ليلة ٠٠ فخورة ان تثبتي له ان بائسا قد قتل نفسه من أجلك ٠

ان الليل ينتصف ٠٠ وشمعتي ستنطفيء ٠٠ لقد طويت علاقة سريري٠٠ وحفرتها لتكون لي حبلا كما ان لوح الخشب صلب متين ٠٠ بعض الشجاعة اذا ٠٠ ولينتهي ٠